ما أعجب ما رأيت منه ؟

حُكي عن حذيفة المرعشي رضي الله عنه ، وكان خدم إبراهيم الخواص[1] رضي الله عنه وصحبه مدة ، فقيل له : ما أعجب ما رأيت منه ؟ فقال : بقينا في طريق مكة أياماً لم نأكل طعاماً ، فدخلنا الكوفة ، فأوينا إلى مسجد خرب ، فنظر إليَّ إبراهيم وقال : يا حذيفة أرى بك أثر الجوع ، فقلت : هو كما ترى ، فقال : عليَّ بدواة وقرطاس ، فأحضرتهما إليه فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى ، ثم قال :

أنا حامدٌ أنا شاكرٌ أنا ذاكر ... أنا جائعٌ أنا ضائعٌ أنا عاري
هي ستَّةٌ وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نارٍ خضتها ... فأجر عُبيدك من لهيب النار

قال حذيفة : ثم دفع إليَّ الرقعة وقال : اخرج بها ولا تعلِّق قلبك بغير الله تعالى ، وادفعها إلى أول من يلقاك ، قال : فخرجت ، فأول من لقيني رجل على بغلة ، فناولته الرقعة ، فأخذها وبكى ، وقال : ما فعل بصاحب هذه الرقعة ؟ قلت : هو في المسجد الفلاني ، فدفع إليَّ صرَّة فيها ستمئة درهم ، فأخذتها ومضيت ، فوجدت رجلاً ، فسألته عن هذا الراكب على هذه البغلة ؟ فقال : هو رجل نصراني .

قال : فجئت إبراهيم وأخبرته بالقصة ، فقال : لا تمسَّ الدراهم ،

---

(١) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص ، صوفي ، كان أوحد المشايخ في وقته ، من أقران الجنيد ، ولد في (سرمن رأى) ومات في جامع الري عام (٢٩١ هـ) .

فإن صاحبها يأتي الساعة ، فلما كان بعد الساعة أقبل النصراني راكباً على بغلته ، فترجَّل على باب المسجد ، ودخل ، فأكبَّ على عبد الله يقبِّل رأسه ويديه ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

قال : فبكى إبراهيم فرحاً به وسروراً وقال الحمد لله الذي هداك للإسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام[1] .

* * *

كيف كان صبر رسول الله ؟

منذ بُعِثَ رسول الله صلوات الله عليه حتى هجرته ، لم يذق طعم الراحة قطّ ، إنما العذاب من المشركين ، فماذا كان موقفه ؟

لقد عذَّبوه فصبر ، كذبوه فصبر ، أخرجوه من داره فصبر ، حتى قال عليه الصلاة والسلام :

« ما أوذي أحدٌ مثلَ ما أوذيت في الله »[2] .

اتهموه : بأنه مجنون! وشاعر! وكذَّاب! وكاهن! . . .

لكنه انتصر عليهم بسلاح الصبر ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ومن صبره صلوات الله عليه ما جاء في السِّير وكتب التاريخ من ذلك :

أن أبا جهل دخل بيت الله الحرام فوجد النَّبي عليه الصلاة والسلام قُرب الكعبة ، فخرج ثم عاد ومعه عقبة بن أبي معيط ، وهما يحملان فرث (كرش) بعير ، وانتظرا حتى سجد عليه الصلاة والسلام فألقوه عليه!! وكان المسلمون يومها ضعفاء وقلَّة ، لم يستطع أحدٌ منهم أن يدافع

---

(١) بتصرف من المستطرف للأبشيهي : ١٥٩ .

(٢) من كنز العمال: ٥٨١٨ .